و١٩٧١، وهي في أوج صعودها، إلى ضربة مريرة أدت إلى إخراجها من الأردن. مع أنها خاضت مع الجيش الاردني معارك ضارية، تحولت على عكس ما توقعت القيادة الاردنية إلى حرب أهلية. ولم تحدث هزيمة المقاومة في ايلول (سبتمبر) سنة ١٩٧٠، بل تمت في العـام التالي. فالحرب الأهلية علّمت القادة الاردنيين أمرين: أولهما، أنه لا يمكن ازالة المقاومة بشكل عنيف ومرة واحدة. وثانيهما، أن الدول العربية لن تتدخل للدفاع عن الفدائيين. كما أنه، حيال التصميم الاردني، لم تقدم المقاومة الخطة المتماسكة المناسبة.

وعلى الرغم مما حدث في الاردن، فقد استفادت المقاومة من تجاربها وتعلمت من أخطائها، ونمت على مر السنين امكاناتها وقدراتها. وأصبح لها، في الضفة الغربية، جهاز منظم يتمثل في الجبهة الوطنية الفلسطينية. ولم يعد الأمر بالنسبة للاسرائيليين ملاحقة عدد من الرجال المعزولين، بل صار عليهم أن يجابهوا آلاف المتظاهرين، في مظاهرات صاخبة تتحول إلى انتفاضات أحياناً(١٦).

وفي لبنان، وقفت الجماهير اللبنانية العريضة بجانب المقاومة. ورغم المؤامرات التي تعرضت لها، ورغم الحرب الأهلية اللبنانية، فقد كسبت المقاومة وجوداً شرعياً واعترافاً دولياً، ولا تزال تحظى بتأييد الجماهير الفلسطينية واللبنانية والقوى الثورية في العالم. ولكنها، لاعتبارات ذاتية وخارجية، لم تصل بعد إلى متطلبات الحرب الثورية الشاملة.

وحرب العصابات، كما لا يخفى، طور من الأطوار الابتدائية للحرب الثورية، وهي لا تمكّن من الوصول إلى النصر إلا بعد تطورها إلى جيش العصابات الذي يستند إلى مجموعات المقاومين السريين، وإلى جموع الشعب المقاتل، والذي يكسب بنموه الثابت خصائص الجيش النظامي وقدرته على الحسم. يقول ماو: «إنه إذا ما أخذنا الحرب الثورية، في مجملها، بعين الاعتبار، فإن عمليات حرب العصابات من جهـة، وعمليات الجيش الأحمر النظامي من جهة أخرى، تتكاملان مثل تكامل ذراعي الانسان اليمنى واليسرى. فنحن سنكون كمحارب بذراع واحدة إذا كان لدينا الجيش الأحمر دون حرب العصابات الشعبية. وعندما نتحدث عن عامل الشعب في القاعدة، نعني على وجه التحديد، وخصوصاً، فيما يتعلق بعمليات الحرب، إن فيها شعباً مسلحاً. وهذا هو السبب الرئيسي الذي يجعل العدو خائفاً من الاقتراب من قواعدنا...»(١٧).

وحتى تنجح الحرب الثورية الفلسطينية في فرض ارادتها، على العدو، لا بد لنا من تبني حرب الشعب وتطويرها، وتجذير أداتها الفاعلة التي تشمل المقـاومين الشـوريين والميليشيا والقوات النظامية، بالوعي الثـوري والايمان العميق بـالقضية عـلى أساس استراتيجية واضحة وخطة مرنة، تشرف على تنفيذها قيادة دؤوبة موحدة.

إنه من بين كل القوى التي عملت على خلق الكيان الاسرائيلي ودعمت وجوده يبقى العامل الذاتي هو الأساس في تجسيد الكيان الغريب والحفاظ على بقائه حتى اليوم. ويبقى بالتأكيد تكوين الجيش الاسرائيلي الذي نجح في أن يتجانس وبالتالي أن يكون فعالاً، رغم التيارات والقوى السياسية المتعددة التي احتوتها الحركة الصهيونية، أضخم انجازات الكيان على الاطلاق. يقول آلون: «... أما بقية المنظمات السرية شبه المستقلة،